مراجعة أبو عيطة. وسنلاحظ على ضوء هذا، أن كتاب د.زيادين يأخذ على السلفيتي نوعين من المآخذ: واحد يتعلق بمعاملة السلفيتي الشخصية للمناضل زيادين عندما كان السلفيتي على رأس قيادة العمل الحزبي في البلاد لأن الأمين العام المرحوم فؤاد نصار كان قد اضطر إلى مغادرتها. وآخر يتصل بمواقف السلفيتي العامة.

وكأمثلة على النوع الأول من المآخذ يروي د.زيادين أن السلفيتي طلب منه، بعد خروجه من السجن محتاجا للراحة والعلاج في الخارج، أن يدفع من جيبه الخاص ثمن تذكرة الطائرة التي ستحمله إلى جمهورية ألمانيا الديمقراطية. ويستنكر د.زيادين هذا الموقف من السلفيتي، ثم يروي، بعد ذلك، أن قائده قدم للحزب تقارير سلبية تتحدث عن عدم انضباطيته في برلين.

وفي ظني ان حكاية التذكرة، ومثلها حكاية التقارير هذه، ليستا مما يستحق التسجيل في وقائع خلاف شق الحزب. أما وقد ارتأى د.زيادين أن يسجل أمثلة كهذه في كتاب يصدر بعد عشر سنوات من الانشقاق، فلنزلها ما أراده لها من الاهتمام، فلعل الوقائع التي من هذا النوع وملابساتها وتأثيراتها الكامنة في نفسه إلى اليوم، تقدم أنموذجا عن الأسباب الثانوية التي تحفز الخلافات الكبيرة في مجتمع كمجتمعنا، لا يبتعد فيه حتى قادة شيوعيون كبار مثل د.زيادين عن منشئهم البدوي بسهولة.

تكشف واقعة التذكرة، كما رواها د.زيادين من موقع الخصومة، عن جانب هام في شخصية فهمي السلفيتي، هو الجانب الذي وفر له طيلة حياته احترام الذين تستهويهم الجدية والمثابرة والاخلاص، ولا تفتنهم المجاملات السطحية، وهذا جانب أشعر أن من حق السلفيتي علينا، وقد فارقنا، أن أشير إليه.

فعندما جرت هذه الواقعة كان السلفيتي الذي قاد التنظيم الحزبي سنوات طويلة من تحت الارض، يواجه حالة حزب حاصرته الملاجئ والاعتقالات وتخاذلات المتخاذلين وانحسار المد الوطني التقدمي وتشتت الحركة الوطنية، بكل ما تفرزه هذه الحالة من مشاكل تشريد مناضلي الحزب وأصدقائه وأسرهم، وحاجاتهم اليومية العديدة، بعد أن اعتقلوا أو طردوا من أعمالهم أو أرغموا على مغادرة البلاد.

وإذا كان السلفيتي، وسط ركام المشاكل الكثيرة، قد تنبه لحاجة د.زيادين للراحة والاستجمام، أو إذا كان، وهذا هو الاصوب، قد صمم على إبعاده كي لا يتعرض للاعتقال ثانية؛ فتلك، في الحالتين، مزية تحسب له. والذين يعرفونه شخصيا يعرفون فيه هذا الحرص على أحوال رفاقه واحدا واحدا، ويعرفون هذه الرعاية الودودة التي يحيطهم بها.

أما إذا كان السلفيتي قد حمل د.زيادين على دفع ثمن تذكرة الطائرة فما من أحد يقول، بمن فيهم زيادين، أنه فعل ذلك كي يحتفظ بالثمن لنفسه. ومن الواضح أن السلفيتي كان يرى في زيادين رجلاً قادرا على شراء تذكرة، وهو الطبيب الجراح وابن الأسرة الميسورة، وأنه اجتهد كي لا يرهق مالية الحزب، إن كانت للحزب في تلك الظروف مالية تذكر.

وأما إن السلفيتي أعطى عن مسلك د.زيادين، في ألمانيا الديمقراطية، انطباعات سلبية؛ فإنها ميزة أخرى للسلفيتي تؤكد أمانته للحقيقة، كما تؤكد حرصه على حسن العلاقات مع الاحزاب الشيوعية الأخرى وبضمنها الحزب الاشتراكي الالماني الموحد. والأمر ليس بحاجة لبراهين؛ إذ يكفي أن يستعيد قارىء البدايات ما كتبه د.زيادين بنفسه والمرارة التي تحدث بها عن فترة وجوده في ألمانيا الديمقراطية ليتبين أي نوع من العلاقة قام بينه وبين الرفاق الالمان.

فهل كانت مشاعر د.زيادين تجاه السلفيتي ستتبدل لو أن قائده «أمّن» له تذكرة وضغط على الرفاق الالمان كي يقبلوا مسلكه على علاته؛ في وقت يعترف فيه د.زيادين نفسه أن امرأته ورفيقة عمره ذاتها كانت تضيق بسلوكه!

أما المآخذ التي من النوع الآخر، والمتصلة بمواقف السلفيتي العامة فإن د.زيادين يردد ما تردد